آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
مجلة علميّة نصف سنويّة (مقالة علميّة محكّمة)، السنة ٢٣، العدد ١، ربيع و صيف ١٤٤٢ – ١٤٤١ هـ.ق، ١–٣٠

آليات الترابط النصّي في خطبة الجهاد للإمام علي بن أبي طالب (ع)
دراسة تحليلية في ضوء لسانيات النصّ

علي أفضلي*

سيد أحمد موسوي‌پناه**

الملخص

يُعدّ النصّ وحدة لغوية كبيرة تفهم الجملة في إطارها، فالنصّ هو الموضوع الرئيس في التحليل والوصف اللغوي. إنّ الترابط أو التماسك النصّي من أشهر خصائص النصّ إذ لا يقوم النصّ إلّا به، فقد أجمع علماء اللسانيات النصّيَّة بوصف التماسك النصّي أساساً في بناء النصّ وصياغتِهِ. يهدف الترابط النصي إلى بيان تماسك النصّ وانسجامه عبر توظيف أداوته التي من أهمها وأشهرها الإحالة والحذف والتكرار والوصل وغير ذلك. هذا البحث يتخذ من المنهج الوصفي – التحليلي وسيلة ليتناول عناصر الاتساق في خطبة الجهاد ويرمو إلى نفض الغبار عن الموروث الأدبي، وإبراز مواطن ومكامن النصّية في خطبة الجهاد التي تعدّ من أهمّ الخطب في تاريخ موروثنا الديني والأدبي لما فيها من رصانة وقوة واستحكام. ومن النتائج التي وصل إليها البحث نذكر أنّ عناصر الاتساق في خطبة الجهاد

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، إيران (الكاتب المسئول)، ali.afzali@ut.ac.ir
** طالب مرحلة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، إيران، sidahmad9744@gmail.com
تاريخ الوصول: ١٣٩٩/٠١/١٤، تاريخ القبول: ١٣٩٩/٠٣/١٨

Copyright © 2018, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International, which permits others to download this work, share it with others and Adapt the material for any purpose

ساهمت بشكل كبير في الربط بين أجزاء الكلام مما أدى إلى ظهور الخطبة في قمة جمالها وإبداعها اللفظي والفكرى وقد استخدمت الأدوات لسدّ الفجوات والثغرات بين سطور الخطبة. وعلى إثر هذه العناصر، قد جاءت الفكرة موحدة منسجمة لم يطعن في تماسكها تشتت ولا ركاكة ولولا هذا الربط لما كانت هذه الخطبة بهذه المكانة التي تحتلها اليوم.

الكلمات الرئيسة: الترابط، آليات الترابط النصي، الإمام علي بن أبي طالب (ع)، خطبة الجهاد.

١. المقدمة

١.١ مسئلة البحث

ظلّ التعامل مع الجملة على أنها أكبر وحدة لسانية قابلة للتحليل هو الأساس لزمن طويل على الرغم من ظهور بعض الآراء الداعية إلى ضرورة تجاوز مستوى الجملة إلى الولوج في العالم النصّ والخطاب وحينها ظهرت معرفة لسانية جديدة سميت لسانيات النصّ أو الخطاب.

يُعدّ النصّ وحدة لغوية كبيرة تفهم الجملة في إطارها، فالنصّ هو الموضوع الرئيس في التحليل والوصف اللغوي. إنّ اتساق النصّ وترابط أجزائه يسهم على نحو غير قليل في تحقيق سهولة الفهم الجيد للموضوع إذ يعتبر الترابط النصّي الوسيلة الفعالة في بينية النصّ من خلال التلاحم والتماسك بين فقرات النصّ الواحد. لاشك أنّ الترابط النصّي أحد أهم المعايير التي يقوم عليها التحليل النصّي بوصف النصّ بنية مركبة متماسكة ذات وحدة كلية شاملة ويعد عنصر جوهريّ في تشكيل النصّ وتفسيره. يهدف الترابط النصي إلى بيان تماسك النصّ وانسجامه عبر توظيف أداوته التي من أهمها وأشهرها الإحالة والحذف والتكرار والوصل وغير ذلك.

وبما أن الترابط النصي يندرج ضمن أهم القضايا التي طرحتها لسانيات ما بعد الجملة وأنها من القضايا التي لقيت اهتماما كبيرا من قبل علماء العرب ومن قبل الدراسات العربية للنصوص الأدبية والدينية كذلك نظرا للمكانة التي احتلتها اللسانيات النصّية بين المناهج اللسانية والنقدية والدور الذي تقوم به في وصف وتحليل النصّوص والخطابات والبحث في اتساقها

وانسجامها فإن هذه الدراسة والتي تجمع بين الإطار النظري التمهيدي وبين التطبيق تسعى جاهدة للكشف عن الترابط بين العنوان في الخطبة هذه وصدرها وواسطة العقد فيها وعجزها؛ وبين رصف حروفها .كلماتها وجملها؛ كل ذلک من خلال آليات الترابط النصي وتطبقيقها. كما أنه على الرغم من أن قطب الرحى التي تدور الخطبة حوله هو النهوض للجهاد ومقارعة الخصم المنافق فقد استخدمت أضرابا متعددة وأنواعا مختلفة متباينة من أساليب البيان كالأمر والنهي والتقريع والتوبيخ والحث وضرب الأمثال وإلخ.. وبالنظر إلى هذا يسعى الباحث أن يبين أنه: هل تمكن صاحب الخطبة من خلق الجمال الذي يناسب مع الغرض الذي سيقت الخطبة من أجلها وأن يجعلها متماسكة كوحدة واحد أم أنه أخفق في مرماه ولم يتمكن من ترقية كلامه إلى ذروة البلغاء؟ الوسيلة التي يتخذه الباحث للوصول إلى غايته هي بيان أدوات التماسک النصي وطرق استخدامها وتحليل النتائج وأهداف استخدام كمية ونوع الأداة.

ولما كان كلام الإمام علي (ع) أسمى لغة وأبين فصاحة وأرقى أسلوبا بعد كلام الله تعالى وكلام رسوله وبسبب قلة التطرق إليه في ضوء علم النص حسب علم الباحث فإنه رأى أن تطبيق نظرية علم النص سيفتح للدراسات النصية منحى جديدا صوب كلمات الإمام علي (ع) فيما بعد.

٢.١ أسئلة البحث

- ما هي أبرز الأدوات التي ساهمت في ترابط النص في هذه الخطبة؟
- ما دور آليات الترابط النصي فى تضامن النص وانسجامه في خطبة الجهاد؟
- كيف استطاعت أدوات الترابط النصي أن تضفي جمالية في روح ووجدان هذه الخطبة؟

٣.١ خلفية البحث

هناك الكثير من الدراسات التي تطرقت إلى الاتساق في السور القرانية الكريمة، ودوواوين الشعر. أما بالنسبة إلى دراسة الاتساق في كتاب نهجالبلاغة للإمام علي بن أبىطالب (ع)، فهناك بحوث نشير إليها ونشرح ما جاء فيها حتى يتبين التمايز بينها وبين هذا البحث:

ـ بحث بعنوان «تحليل نظام اللغة المعنوي في سورة المزمل على أساس نظرية هاليدي» لمريم عزيزخاني و السيد رضا سليمان زادة (**٢٠١٩م**.). هذه الدراسة، تحاول أن تعالج سورة "المزمل" معالجة لسانية فى ثلاث وظائف تجريبية، تبادلية ونصية معتمدة على نحو هاليدى النظامى مع التركيز على الوظيفة التجريبية.

ـ كتاب *أثر القرائن العلائقية في اتساق النصّ في نهج‌البلاغة (خطب الحروب أنموذجاً)* للباحثة إيناس الحدراوي (**٢٠١٧م**)، تطرقت فيه إلى التضام النحوي والتضام المعجمي والرتبة، في بعض خطب الإمام علي (ع) دون أي تركيز على خطبة الجهاد.

ـــ بحث بعنوان «التماسك النصّي في خطب الإمام علي(ع)» لفليح خضير شني (**٢٠١٦م**)، درس فيه خطبتي ال٦٥ وال١٠٨ من نهج‌البلاغة دون الإشارة إلى خطبة الجهاد بتاتاً.

ـــ بحث بعنوان «مقاربة أسلوبية دلالية في خطبة الجهاد» (**٢٠١٤م**)، للسيد إسحاق حسيني كوهساري وآخرون، بحثوا فيه الدلالات المعجمية والصرفية والصوتية في خطبة الجهاد وتطرقوا من خلال هذه العناوين إلى صفات الأصوات وتكرارها ودلالات المعارف والنكرات وبنية بعض الأسماء والأفعال وأيضا مدى تلائم الألفاظ المستخدمة في الخطبة. وتختلف المواضيع المطروحة فيه اختلافا جوهريا مع هذا البحث تحليلاً ونقداً وأمثلة.

ـــ مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير غير منشورة (**٢٠١١م**) لآمنة جاهمي عنوانها: آليات الانسجام النصّي في خطب مختارة من مستدرك نهج‌البلاغة للهادي كاشف الغطاء، تطرقت فيها إلى الاتساق النحوي في خطب مختارة دون التركيز على خطبة محددة.

ـــ أطروحة دكتوراه باللغة الفارسية غير منشورة بعنوان: كاركرد عوامل انسجام متنى در خطبه‌هاى نهج‌البلاغه (بر اساس الگوى نقش‌گراى هاليدى) (**١٣٨٩ش**)، لعلي‌رضا نظري، درس فيها الاتساق النصّي في مجموعة من خطب نهج‌البلاغة.

ـــ وبحث بالفارسية عنوانه «هم‌آوايى واژگانى و نقش آن در انسجام خطبه‌هاى نهج‌البلاغة» (**١٣٩١ش**) لعبدالعلي آل‌بويه لنگرودي وعلي‌رضا نظري، تطرق الباحثان إلى التضام في مجموعة غير محددة من خطب نهج‌البلاغة.

أما ما يميز بحثنا هذا، هو تركيزه على خطبة الجهاد ودراسة مستندة بالأمثال للموضوعين الآتيين:

١. الاتساق الشكلي وأنواعه بالتفصيل: النحوي (الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والمقارنة) والمعجميّ (التضام والتكرار) والصوتي (السجع والجناس)؛ ثمّ

٢. الاتساق الدلاليّ وأقسامه: الإجمال ثم التفصيل، والعموم والخصوص، وتكرار الصيغ الفعلية، والقسم.

٤.١ خطبة الجهاد

نصّ الخطبة:

«أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة. فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، ولزمه الصّغار، وسيم الخسف، ومنع النصّف. ألا وإنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم قط فى عقر دارهم إلا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم، وثقل عليكم قولى واتخذتموه وراءكم ظهريّا، حتى شنّت عليكم الغارات. هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقتل حسان- أو ابن حسان- البكرى، وأزال خيلكم عن مسالحها، وقتل منكم رجالا صالحين. ولقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المسلمة والأخرى المعاهدة، فينزع حجلها وقلبها ورعاثها ثم انصّرفوا وافرين، ما كلم رجل منهم كلما، فلو أن امرأ مسلما مات من بعد هذا أسفا، ما كان عندى به ملوما، بل كان به عندى جديرا. فيا عجبا من جد هؤلاء القوم فى باطلهم، وفشلكم عن حقكم. فقبحا لكم وترحا، حين صرتم هدفا يرمى، وفيئا ينتهب، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم فى أيام الحر قلتم: حمّارة القيظ، أمهلنا ينسلخ عنا الحرّ وإذا أمرتكم بالسير فى البرد قلتم: أمهلنا ينسلخ عنا القرّ. كلّ ذا فرار من الحر والقر. فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا أحلام الأطفال وعقول ربات الحجال، وددت أن الله قد أخرجنى من بين ظهرانيكم وقبضنى إلى رحمته من بينكم. والله لوددت أنى لم أركم، ولم أعرفكم. معرفة والله جرّت ندما. قد وريتم صدرى غيظا، وجرّعتمونى الموت أنفاسا، وأفسدتم على رأيى بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم، وهل منهم أحد أشدّ لها مراسا أو

أطول لها تجربة مني؟ لقد مارستها وما بلغت العشرين، فهأنذا قد نيفت على الستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع» (عبده، ٢٠١٥: ٥٣-٥٤).

٢. المفاهيم والتعاريف

١.٢ مفهوم الاتساق لغة ومصطلحاً

يقول ابن منظور في جذر (و س ق): «وسقت النخلة إذا حملت فإذا أكثر حملها قيل: أسوقت أي حملت وسقا، ووسقت الناقة وغيرها تتسق أي حملت وأغفلقت رحمها على الماء فهي واسق ونوق وساق، وسقت عيني على الماء أي حملته الوسوق، وما دخل فيه الليل وما ضم وقد وسق الليل واتسق والطريق يتسق واتساق القمر وامتلاؤه وإجماعه واستواؤه ثلاث عشرة أو أربع عشر واستوقت الإبل: اجتمعت والاتساق: الانتظام» (ابن منظور، ١٩٩٤: ٤٨٣٦).

أما الاتساق في الاصطلاح هو جزء من النظام اللغوي ويحتمل وجوده في الوسائل النظامية للإحالة والحذف...الموجودة في اللغة ذاتها غير أن تحقيق الاتساق في أية حالة لا يعتمد على اختيار معين ضمن هذه الوسائل فحسب بل على وجود عنصّر آخر يعين الافتراض الذي يقيمه هذا العنصّر.

وقد أدرک اللغويون العرب أن النصّ يجب أن يكون وحدة واحدة وقد ذكروا بعض أسس الاتساق النصّي التي أقام عليها المحدثون أصول نظريتهم ومن أهم ما ذكر في هذا المجال ما نقله الجاحظ في البيان والتبيين حين اشترط في نظم الشعر أن يكون ذا أجزاء متفقة أو سلسلة من النظام متوالية الأركان مماثلة لبعضها البعض غير متباينة حيث يقول: «أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه أُفرغ إفراغا واحدا وسُبک سبکا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان» (الجاحظ، ١٩٧٥: ٦٧).

ويعرفه كارتر«يبدو لنا الاتساق ناتجا عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصّية أو المعطيات غير اللسانية مقامية وتداولية إطلاقا في التحديد» (بوقرة، ٢٠٠٩: ١٥٠-١٥١).

ويعرف كل من هاليدي ورقية حسن أن« مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النصّ والتي تحدده كنصّ» (خطابي، ٢٠٠٩: ١٥٠-١٥١).

ويتضح من هذا التعريف أن الباحثين قد حصرا مفهوم الاتساق في الجانب الدلاليّ وعقّب على هذا محمد خطابي وبين بأن الاتساق لا يقتصر على الجانب الدلالي فحسب وإنما يتم في مستويات أخرى كالنحو والمعجم ويضيف أن هذا مرتبط بتصور الباحثين للغة كنظام في ثلاثة أبعاد/ مستويات: الدلالة (المعاني) والنحو والمعجم (الأشكال) والصوت والكتابة (لعرباوي، ٢٠١١-٢٠١٢: ٥٩).

(التعبير): يعني أن المعاني تتحقق كأشكال والأشكال تتحقق كتعابير وبتعبير أبسط: تنتقل المعاني إلى كلمات والكلمات إلى أصواته أو كتابة ويتضح هذا من خلال الشكل التالي (خطابي، ٢٠٠٩: ٥):

المعاني---:(النظام الدلالي).

الكلمات----:(النظام النحوي-المعجمي-النحو المفردات).

الأصوات/ الكتابة---:(النظام الصوتي والكتابة).

ويتجه المعنى العام للاتساق حسب "هاليداى" ورقية حسن إلى مفهوم النص فدور الاتساق في نشأة النص إنما هو توفير عناصر الالتحام وتحقيق الترابط بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة فالترابط النصي هو الذي يخلق بنية النص ومن أجل تحقيق ذلك الترابط النصي لابد من توفير مجموعة من الظواهر التي تعمل على تحقيق الاتساق في مستوى النص (أبوخرمة، ٢٠٠٤: ٨٤-٨٢).

أما صبحي إبراهيم الفقهي فقد قال: "مصطلح "coherence"يستخدم للترابط الدلالي ويرتبط بالروابط الدلالية بينما مصطلح "cohesion" العلاقات النحوية أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة من الجملة" (الفقهي، ٢٠٠٠: ٩٥).

أما من حيث الاستعمال فقد اعتمدنا أن يكون مصطلح الاتساق مقابلا لمصطلح "cohesion"ويقابل مصطلح الانسجام "coherenc".

٣. القسم التحليلي: آليات الاتساق ودورها في خطبة الجهاد

تنقسم آليات الاتساق إلى الاتساق الشكلي والاتساق الدلالي.

١.٣ الاتساق الشكلي

هي الوسائل التي تتحقق بها خاصية استمرارية في ظاهر النصّ ويقصد بظاهر النصّ: الأصوات والكلمات والجمل الناتجة عن العملية اللغوية (الخطاب، ٢٠٠١: ٢٢٦). أو هو الأحداث اللغوية التي ننطقها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطها أو نراها حيث إن هذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية.

يتنوع الاتساق الشكلي بين النحوي، والمعجمي، والصوتي.

١.١.٣ الاتساق النحوي

هو ترابط الجمل في النصّ مع بعضها البعض بوسائل لغوية معينة والتي يمكن إجمال آلياتها بالإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل:

١.١.١.٣ الإحالة

جاء في تعريفها أنها «علاقة قائمة بين الأشياء والمسميات فهي تعني العملية التي بمقتاضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة: متقدمة عليها، فالعناصر المحلية كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل» (بوقوة، ٢٠٠٩: ٨١).

ويعرفها دي بوجراند«بأنها العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابعي البدائي في نصّ ما إذ تشير إلى شيء ينتمي إليه نفس عالم النصّ أمكن أن يقال عن هذه العبارات إنها ذات إحالة مشتركة (دي بوجراند، ١٩٩٨: ٣٢٠).

وصور الإحالة «استخدام ضمير ليعود على اسم سابق أو لاحق له بدلا من تكرار الاسم نفسه» (*المرجع السابق، ص*٣٢٠).

تنقسم الإحالة إلى نوعين:

الف) إحالة مقامية (خارج النصّ)؛

«هي إحالة عنصّر لغوي إحالي على عنصّر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه حيث يرتبط عنصّر لغوي إحالي بعنصّر إشاري غير لغوي وهو ذات المتكلم ويمكن أن يشير عنصّر لغوي إلى المقام ذاته في تفاصيله أو مجملا إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم» (*المرجع السابق، ص* ٣٢٠).

ب) إحالة نصّية (داخل النصّ):

وهذه الأخيرة «النصّية» تنقسم إلى شكلين هما إحالة بعدية وإحالة قبلية.

– إحالة قبلية: هي إحالة على سابق حيث يتقدم فيها المحال إليه عن المحيل أي تعود على مفسر سبق النطق به.

– إحالة بعدية: تعود على عنصّر إشاري مذكور بعدها في النصّ ولاحق عليها.

المحال إليه الأول:

المحال إليه	الإحالة	نوع الإحالة
الجهاد	الهاء في «فتحه»	إحالة داخلية على سابق
	ضمير «هو» المستتر	إحالة داخلية على سابق
	الهاء في «تركه»	إحالة داخلية على سابق

المحال إليه الثاني:

المحال إليه	الإحالة	نوع الإحالة
الله تعالى	الهاء في «أوليائه»	إحالة داخلية على سابق
	الهاء في «جنته»	إحالة داخلية على سابق

المحال إليه الثالث:

المحال إليه	الإحالة	نوع الإحالة
«مَن» في «فمن تركه»	الهاء في «تركه»	إحالة داخلية على سابق
	الهاء في «ألبسه»	إحالة داخلية على سابق
	ضمير هو المستتر في «دُيث»	إحالة داخلية على سابق
	الهاء في «قلبه»	إحالة داخلية على سابق
	الهاء في «منه»	إحالة داخلية على سابق
	ضمير هو المستتر في «سيم الخسف»	إحالة داخلية على سابق
	ضمير هو المستتر في «مُنع»	إحالة داخلية على سابق

المحال إليه الرابع:

المحال إليه	الإحالة	نوع الإحالة
الإمام علي (ع)	الياء في «إني»	إحالة مقامية
	التاء في «قلتُ»	إحالة مقامية
	الياء في «بلغني»	إحالة مقامية

المحال إليه الخامس:

المحال إليه	الإحالة	نوع الإحالة
أصحاب الإمام علي (ع)	الكاف في «دعوتكم»	إحالة داخلية على سابق
	الكاف في «لكم»	إحالة داخلية على سابق
	الواو في «اغزوهم»	إحالة داخلية على سابق
	الكاف في «يغزوكم»	إحالة داخلية على سابق
	الكاف في «تواكلتم»	إحالة داخلية على سابق
	التاء في «تخاذلتم»	إحالة داخلية على سابق
	الكاف في «شُنت عليكم»	إحالة داخلية على سابق
	الكاف في «ملكت عليكم»	إحالة داخلية على سابق
	الكاف في «خيلكم»	إحالة داخلية على سابق

المحال إليه السادس:

المحال إليه	الإحالة	أنواع الإحالة
أصحاب معاوية	الهاء في «اغزوهم»	إحالة داخلية على سابق
	الواو في «يغزوكم»	إحالة داخلية على سابق
	الهاء في «الرجل منهم»	إحالة داخلية على سابق
	الواو في «ثم انصرفوا»	إحالة داخلية على سابق
	الهاء في «ما نال منهم»	إحالة داخلية على سابق
	الهاء في «لا أريق لهم».	إحالة داخلية على سابق

المحال إليه السابع:

المحال إليه	الإحالة	نوع الإحالة
«قوم» في ما غزي قوم...	الهاء في «دارهم»	إحالة داخلية على سابق
	الواو في «ذلوا»	إحالة داخلية على سابق

المحال إليه الثامن:

المحال إليه	الإحالة	نوع الإحالة
أخو غامد	هذا	إحالة داخلية على لاحق
	خيله	إحالة داخلية على سابق
	ضمير «هو» المستتر في «قَتَلَ»	إحالة داخلية على سابق
	ضمير هو المستتر في«أزال»	إحالة داخلية على سابق

المحال إليه التاسع:

المحال إليه	الإحالة	نوع الإحالة
خيل في «أزال خيلكم..»	الهاء في مسالحها	إحالة داخلية على سابق

المحال إليه العاشر:

المحال إليه	الإحالة	نوع الإحالة
الرجل في «أن الرجل منهم»	ضمير هو المستتر في «يدخل على»	إحالة داخلية على سابق
	ضمير هو المستتر في «ينتزع»	إحالة داخلية على سابق

المحال إليه الحادي عشر:

المحال إليه	الإحالة	نوع الإحالة
المرأة	الهاء في «حجلها»	إحالة داخلية على سابق
	الهاء في «قُلبها»	إحالة داخلية على سابق
	الهاء في «رعاثها»	إحالة داخلية على سابق
	ضمير هي المستتر في «تمتنع»	إحالة داخلية على سابق

كما يظهر فإن للإحالة دورا بارزا وحضورا قويا يقدر بسبعين بالمائة وقد طبقت الإحالة بنوعيها مقامية ونصّية في هذه الخطبة إلا أن النصّية كانت لها استعمالات أكثر من المقامية.

وقد تكررت هذه الظاهرة كثيراً داخل النصّ حتى أصبحت سمة بارزة فيه ميزها تنوع الإحالات المقامية بين ضمائر المتكلم والمخاطبين.

ويقدم عبر بوابة الإحالات المقامية الحاضرة أدوارا متناسقة في هذا النصّ.

ومن تأمل نصّ الخطبة يجد أن الإحالة فيها بتنوعها وتعددها قد جعلت منه نصّا متماسكا يرتبط أوله بأخره أخرجته من الإبهام والتشتت إلى الانسجام والاتساق والوحدة ولولا هذه الإحالات التي تارة من نوع الضمير بشقيه البارز والمستتر وكذلك في بعض المرات عبر اسم الإشارة والموصول لفقد حيويته ووحدته؛ فعلى سبيل المثال عندما قال عليه السلام" فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل" فهب أن هذا النصّ سلبناه الإحالات ونزعنا منه ضمير "الهاء" في "تركه" وألبسه" لصار يقينا نصّا مبهما متشتتا أجزائُه مفككة غير مترابطة وكأن بعض النصّ أجنبي عن بعض ليس بينه ألفة ولكان هكذا:

"فإن الجهاد باب من أبواب الجنة. فمن **ترك** رغبة عنه **ألبس** الله ثوب الذل".

وهذا المثال يبين لك مدى دور الإحالة في إبانة النصّ وجعل بعضه يعضد بعضا.

ولكي تكون على بينة أن للإحالة دور كبير في هذه الخطبة نذكر لك النصّ التالي خاليا من أسلوب الإحالة ليظهر من خلال ذلك الدور الذي تلعبه في خلق النصّ واستقامته:

"(**هذا**) أخو غامد قد وردت خيل(**ه**) الأنبار، وقتل حسان – أو ابن حسان – البكرى، وأزال خيل(**كم**) عن مسالح(**ها**) وقتل من(**كم**) رجالا صالحين"

افترض أن النصّ كان مفتقرا لما بين القوسين كيف سيكون؟ وهل يكون مبينا واضحا؟

والملاحظ أن أغلب الإحالات جاءت نصّية قبلية كما في ذكرنا في الرسم البياني أعلاه وقد ساهمت في ربط سابق النصّ بلاحقه حيث عاد أغلبها على ذات مر ذكرها في موضع سابق تمهيدا لتوظيفها في مشهد ما.

أما الإحالات المقامية كما في قوله الياء في

"«إني»

التاء في «قلتُ»

الياء في «بلغني»"

فقد أدت الانسجام المفهومي من خلال ربط الأحداث بالشخوص الفاعلة في النصّ.

وفي قوله "هذا أخو غامد..." توجد إشارة بعدية داخلية قريبة المدى حيث أحال اسم الإشارة إلى الخبر "أخو" فأدت الإحالة الربط على مستوى الجملة داخل النصّ.

الضمائر أكثر عناصر الإحالة ورودا في النصّ وذلك لما يتميز به الضمير من اقتصار في اللفظ وتنوع في التركيب فقد يجيء منفصلا ومتصلا ومستترا.

تنوع أسلوب الإحالة في الخطبة هذه لإنها وسيلة من وسائل الاختصار وتجنب التكرار فهي تحقق خاصية الاقتصاد في اللغة.

٢.١.١.٣ الاستبدال

يُعدّ الاستبدال عنصّرا من عناصر الاستبدال المهمة في بناء النصّ، يدور موضوعه حول علاقة الكلمات في الجملة على مستوى النحوي المعجمي، وهو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد (شحاذة، ٢٠٠٩: ٣) والدليل على ذلك ما جاء في تعريف الأخضر الصبيحي" أن الاستبدال كوسيلة من وسائل التماسك النصّي، بتعويض عنصّر لغوي بعنصّر لغوي آخر وهو يهتم على المستوي النحوي والمعجمي داخل النصّ (الصبيحي، ٢٠١٠: ٢٠).

يفهم من هذا أن يقوم المتحدث باستبدال مفردة بمفردة أخرى مثل: نجح علي في الامتحان، يا بي سأعطيك هدية.

فقد استبدلت كلمة "عليّ" بكلمة "يا بني" فالكلمتان تشيران إلى نفس المعنى كما يمكن أن نستبدل مفردة معجمية بمفردة نحوية أخرى كأن تقول: هذا كتاب قرأته لابدّ أن تشتري واحداً آخر، فقد استبدلت "الكتاب" بكلمة "واحد" وهذا النوع من أنواع الاستبدال الذي نصّت عليه لسانيات النصّ.

أنواع الاستبدال

الف) الاستبدال الاسمي؛ وهو أن يحيل الاسم محل الآخر مؤدياً وظيفته التركيبية منها: آخر وأخرى ونفس و...

ب) الاستبدال الفعلي؛ وهو حلول الفعل مكان الآخر مع تأدية وظيفته التركيبية و

ج) الاستبدال القولي؛ وهو استبدال قول مكان آخر مع تأدية وظيفته.

نماذج من الاستبدال الوارد في الخطبة:

"كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة" حيث ناب اسم "أخرى" مكان "المرأة " هنا وباعتماد المبدع على مثل هذا تجنب التكرار وحقق الربط بين أجزاء ووحدة النصّ وهي صورة كما يتضح من صور التماسك التي تتم على المستوى النحوي والمعجمي بين الكلمات والعبارات.

ـ **المقارنة:** تعد بناء لغويا معبرا عن قيمة عالية عند المبدع لتقديم رأيه وتشكيلها اعتماداً على عالمين يصنعها بذاته ويقدمها للمتلقي بعيداً عن لغة المعنى المكشوف (خوالدة، ٢٠٠٦: ٦٦).

وبالتالي فإن أدوات المقارنة تساعد على الإبداع والتعبير عن الآراء لإيصال الرسالة إلى المتلقي في أحسن صورة وأكمل وجه.

ما ورد في هذه الخطبة من هذا العنصّر: « هل أحد أشد لها مراساً وأقدم فيها منّي مقاماً.»

٣.١.١.٣ الحذف

ظاهرة لغوية اشتركت فيها جميع اللغات بحيث تحذف بعض العناصر المكررة في الكلام ويفهم من خلال المعنى.

يعتبر الحذف من الأمور ذات الأهمية العالية التي عالجتها البحوث النحوية والبلاغية والأسلوبية وتكمن أهميتها من حيث إنه لا يورد المنتظر من الألفاظ ومن ثم يفجر في ذهن المتلقي شحنة توقظ ذهنه وتجعله يفكر فيما هو المقصود (الخطابي، ٢٠٠٩: ١٩).

ويقول عبدالقاهر الجرجاني عن باب الحذف وفوائده "إنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، شبيه بالسحر، فإنك ترى ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجد أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبِن، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبرها وقد تدفعها حتى تنظر والأصلُ في جميع المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل عليها، وإلا كان الحذف تعمية وإلغازا لا يصار إليه بحال، ومن شرط حسن الحذف أنه متى ظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاوة وصار إلى شيء غث لا تناسب بينه وبين ما كان عليه أولاً والقرينة شرط من شروط صحة الحذف إذا اقترن بها غرض» (الهاشمي، ٢٠٠٥: ٩٧)

ويعرف دي بوجراند الحذفَ بأنه «استعباد العبارات التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو يعدل بواسطة العبارات الناقصة وأطلق عليه تسمية الاكتفاء بالمبنى العدمي.» (عفيفي، ٢٠٠١: ١٢٤).

أنواع الحذف

الف) الحذف الاسمي؛ ويقصد به حذف اسم داخل المركب الاسمي نحوُ:أي كتاب تفضل؟ هذا أفضل.

ب) الحذف الفعلي؛ والمقصود بهذا النوع من الحذف أن يكون المحذوف عنصّرا فعليا داخل المركب الفعلي نحوُ: ماذا كنت تنوي؟ السفرَ.

ج) أي كنتُ (أنوي) السفر. وكما يلاحظ تم حذف العنصّر الفعلي من الكلام لدلالة الكلام عليه و

ج) الحذف القولي؛ ويقصد به أن تحذف جملة أو قول بأسره نحو :(وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً). في هذا الشاهد طوِي ذكر جملة (فضرب موسى ذلك) بعد قوله «فقلنا اضرب بعصاك الحجر».

الكلام الذي ورد فيه الحذف	المحذوف	نوع الحذف
أما بعدُ فإن الجهاد	أما بعد«الحمد والثناء لله...»	اسمي
لا علم له بالحرب	لا علم «كائن» له بالحرب	اسمي
والله ما غزي قوم في عقر دارهم	«أقسم» والله ما غزي...	فعلي
فأنتم والله من السيف أفر	فأنتم «أقسم» والله من السيف أفر	فعلي
فلو أن امرءا مات	فلو«ثبت» أن امرءا	فعلي
والله أفسدتم عليّ رأيي	«أقسم» والله أفسدتم علي رأيي	فعلي
لله درهم	لله «كائن» درهم	اسمي

لما كان كلام الإمام (ع) في هذه الخطبة يريد به زجر أصحابه وتأنيبهم وتعنيفهم فنراه قلل الحذف في الجمل ليطابق غرضه فإن البلاغة ديدنهم ودأبهم عندما يريدون التأنيب وزجر النفوس يأتون بالجمل الطويلة من غير ما حذف.

فلا نجد الحذف إلا في المواطن التي يكون الاستعمال فيها على الحذف كما في قوله «لله درهم» أو في القسم وغير ذلك.

غاية الإمام (ع) في هذه الخطبة تأديب أصحابه فلم يكن يناسب أن يوجز بل ثم القوم كانوا كالمتجاهلين لكلامه كأنهم لا يسمعونه أو إذا سمعوه لا يفهمونه فلكي ينفذ كلامه إلى نفوسهم أكثر المفردات الدالة على المعنى الواحد وتحاشى الإيجاز فلو فعل مثل ذلك لكان ضاراً بوحدة النصّ وغاية الكلام الملقى من أجلها.

٤.١.١.٣ الوصل

يعدّ الوصل من أهم المظاهر التي تؤكد على اتساق النصّوص وتماسكها ويعرّفه هاليدي ورقية حسن «تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم» (الخطابي، ٢٠٠٦: ٢١).

والوصل في الحقيقة هو ربط الجمل والعبارات بعضها ببعض وتتحقق به خاصية الاستمرار اللفظي عن طريق انتظام الأحداث والمكونات على سطح النصّ (إبراهيم، ٢٠١٥، ص١٧٧). فتأتي أحداث النصّ متسلسلة ومرتبطة ومنتظمة بفعل روابط تجمع بين تلك

العبارات بحيث تكون بعض الجمل متفق مع بعض مما يولد علاقات بينها فالربط يشير إلى تلك العلاقات الموجودة بين المساحات والأشياء في النصّ (دي بيوجرند، ١٩٩٨: ٣٤٦).

والروابط عبارة عن أدوات تربط عنصّر سابق بلاحق بواسطة عنصّر دال كالعطف والاستدراك واللإضراب والتعليل والشرط والظرف ... (محمد،٢٠٠٩: ١١٠).

الوصل كغيره من الأدوات له أنواع:

– مطلق الجمع: يربط بين صورتين أو أكثر باستعمال الأداة «الواو».

– التخيير: يربط بين صورتين متماثلتين من حيث المحتوى باستعمال الأداة «أو».

– الاستدراك: ويضم صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة تعارض باستعمال الأدوات «بل – لكن».

– التفريع: وهو علاقة بين صورتين بينهما حالة تدرج باستعمال الأدوات«لأن–ما دام».

الرسم البياني التالي يبين أدوات الربط في الخطبة وعدد تكرارها ونوعها:

الواو	كي	لأن	بل	لكن	أو	لام التعليل	الشرط	ثم	الفاء
٥٥	٠	٠	١	٢	٠	٠	٦	١	٨
إضافي	سببي	سببي	عكسي	عكسي	إضافي خطي	سببي	سببي	زمني خطي	خطي

تعد حروف الربط أو الوصل علاقة اتساقية أساسية في النصّ وذلك لأنه يعمل على تقوية المعنى وجعل متواليات الجمل المشكلة للنصّ متماسكة. وقد كان لأدوات النصّ حضورها في النصّ وساهمت إلى حد ما في إحداث شيء من الترابط داخله.

ودراسة هذا الرسم البياني البياني تقود إلى مجموعة من النتائج المستوحاة على الشكل الآتي:

أولا: يمثل التفاوت في استخدام آليات الوصل إلى إحدى السمات البارزة في النصّ إذ شكلت أهمية كبيرة في تكوين علاقات الاتساق داخله وتفاوت هذا القصد وفقا لغاية الخطاب و رؤى المبدع مضفيا نوعا من العلاقات الادلالية داخل بنية النصّ.

ثانيا: تعد الواو العاطفة من أكثر أدوات الربط حضورا في الخطبة حيث استخدمت لربط كثير من أوصال الخطبة لكنها تغيب في بعض أجزاء الجمل مما يدعو إلى القول إن حضورها وغيباها مبتني على قصد الإمام (ع).

ثالثا: نرى ورد الربط الخطي في الخطبة للجمع بين عناصرها وإضافة معنى غير الجمع.
رابعا: كثرة استخدام الشرط «السببي» ما يدل على ترتيب النتائج على مقدمات أخرى.

خامسا: الكثير من أدوات الربط لم ترد في خطبة الجهاد ولعل هذا الحضور القليل لأدوات الربط يعزز فكرة بقاء حركة أسطر الخطبة مسكونة بوجود المتتاليات الجملية إمعاناً في إيصال حركتها إلى السامع الذي سيسهم بفعل الربط الدلالي وقد يؤسس لعلاقة أوضح من التي ستؤسسها الروابط اللغوية المعروفة.

٢.١.٣ الاتساق المعجمي

هو صورة أخرى للتعبير عن الاتساق وهو «وسيلة لفظية من وسائل الاتساق التي تقع بين مفردات النصّ وعلى مستوى البنية السطحية تعمل على الالتحام بين أجزائه معجميا والبعيدة فيه إذ يؤدي ذلك إلى تلازم الأحداث وتعلقها من بداية النصّ حتى آخره مما يحقق للنصّ نصّيته» (الحلوة، ٢٠١٢: ١).

يعتمد الاتساق المعجمي في عمله على وسيلتين أساسيتين هما: التضام والتكرار.

١.٢.١.٣ التضام

«هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة لارتباطهم بحكم هذه العلاقة أو تلك» (*نفس المصدر*، ٢٤–٢٥) ويقصد بالفعل وبالقوة تلك العلاقة التي تتحكم بالمفردات والتي تجعل الألفاظ مرتبطة ومجتمعة بحكمها وهذه العلاقات الموجودة داخل النصّ تكوّن مجموعة من الجمل المتتالية المشكلة له؛ ما يجعله يتميز بالتشابك والصلابة مثال ذلك"لكل بداية نهاية" فهذان اللفظان لا يحملان المعنى نفسه ومختلفان تماماً إلا أنهما يسهمان في الاتساق من خلال ذلك الاختلاف فجمعت بينهما علاقة التضاد فكل منهما معنى خاص إلا أنهما اجتمعا تحت حكم تلك العلاقة.

ويقول محمد الخطابي «إن القارئ لا يتأثر بفعل هذه الاختلافات إذا كان يتمتع بحدس لغوي وعارفا بمعاني الكلمات وغير ذلك» (الخطابي، ٢٠٠٦: ٢٥).

فالمتلقي لا تزعجه تلك الأضداد بل يفهمها من جانبها الإيجابي وأن ذلك التمايز هو الذي أضفى صفة الاتساق والترابط النصّي:

الجملة التي ورد فيها التضام	ألفاظ التضام
ألا وإني دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا	ليلا – نهارا.
من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم	باطل – حق.
إذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر...وإذا أمرتكم إليهم بالسير إليهم في الشتاء...	أيام الحر – الشتاء؛ لأن المقصود بأيام الحر ههنا هو الصيف. الحر – القر.
قلتم هذه حمارة القيظ أمهلنا.... قلتم هذه صبارة القر أمهلنا...	حمارة القيظ – صبارة القر.
أفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان	العصيان – الخذلان.

وهنا تتبين أهمية التضام باعتباره ظاهرة شكلية كبرى تصور أسلوب تأليف الكلمات في اللغة ثم استخدام صورة التأليف في إعطاء المعنى العام للتركيب الكلامي (بن ساسي، ٢٠١٧: ٢٠٦).

والتضاد بين المفردات المذكورة أعلاه تشكف عن جبهتين وفريقين فئة تنحاز للرخاء ومطامع الدنيا وعدة قليلة تريد رضى الله وولاة الأمر.

وتكشف عن صراع قائم يعكس نفسه في كلمات الإمام عليه السلام فالليل والنهار والباطل والحق وغيرها لها دلالات وتصور اللبس الذي وقع فيه أصحاب الإمام والحيرة التي سلبتهم الإرادة والعزيمة كي يقوموا من أجل نصّرة الحق وأنهم متخبطون متحيرون.

وتكشف عما يواجه الإمام من ضغوط تهز الكيان وتفجر في النفس الكثير من المآسي القائمة والشعور بالخيبة.

وتصور التقابل والتنافر والصراع والتجاذب والتوتر والناتج عن تناطح واختلاف ونزاع بين الفئة الواحد التي ينبغي أن يكون أمرها الوحدة والتلاحم.

وقد لعب التضام في هذه الخدبة دورا بارزا في تحسين المعنى وتطريزه وجعله أكثر تأثيراً في نفس القارئ إذ إنه سلط الضوء على الفرق الشاسع بين الوجه الإيجابي والسلبي للمعنى.

أضف إلى ذلك أنه قد يثير الانتباه ويبرز المشاعر.

فحينما يورد الإمام في كلامه متضادات ك"ليل ونهار" و"حق وباطل" فقد استطاع أن يخرج النصّ من النسق الهادئ الساكن والوتيرة الواحدة المريضة ويجعله أكثر حركة وأن يترك فيه تماسكاً أكبر. فلو أخلينا النصّ من هذا السبك لضاع نشاط النصّ ولأصبح نصّاً ميتاً لا يثير في النفس شيئاً ولايخلق في المتلقي لفتة وانتباهاً ولا يخرجه من سكون إلى حركة ومن سبات إلى يقظة.

٢.٢.١.٣ التكرار

لغة: ورد في لسان العرب: كرر الشيء وكرره أي أعاده مرة بعد مرة (ابن منظور، ١٩٩٨: ٣٨٥١)، وبهذا المفهوم والمعنى يحمل بين طياته معنى الإعادة والتوضيح.

اصطلاحا: يراد به «تكرير عنصّر من العناصر المعجمية الاستعمالية بعينه أو بمرادفه أو بشبه مرادفه في النصّ الأدبي» (فضل، ١٩٩٨: ٣٣٢).

وبناء على وظيفة التكرار النصّية يقول صبحي إبراهيم الفقهي أنه "إعادة لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة وذلك باللفظ نفسه أو الترادف وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصّي بين عناصر النصّ المتباعدة" (الفقهي، ٢٠٠٠: ٢٢).

"ومن شأن إعادة اللفظ من الناحية النفسية أن تركز الانتباه فإن العناصر المكررة ينبغي أن تنطبع في الذاكرة ومن ثم ينبغي للعلمية الإجرائية أن تكون سهلة إذ إن نقطة الاتصال في نموذج العالم ذي الاستمرار النصّي أن تكون واضحة (دي بوجراند،١٩٨٨: ٣٠٤) وهذا من شأنه أن يؤديَ وظيفة الإفهام والإفصاح والكشف والتأييد والتقرير والإثبات.

ويظهر التكرار في النصّ على نحوين:

أ) التكرار المحض: وهو التكرار الذي يتم بإعادة اللفظ نفسه بمرجع واحد أو عدة مراجع وهو نوعان:

١. التكرار مع وحدة المرجع

٢. التكرار مع اختلاف المرجع

ب) التكرار الجزئي: "يقصد بهذا التكرار هو تكرار عنصّر سبق استخدامه ولكن في أشكال مختلفة

ج) تكرار المعنى واللفظ مختلف: ويشمل الترادف وشبهه.

د) التوازي: وذلك بتكرار البنية وملئها بعناصر معنوية جديدة ومختلفة (خطاب، ٢٠٠٦: ٢٥).

بعض نماذج التكرار في هذه الخطبة:

١. سيم الخسف – منع النصّف

هذا تكرار من حيث المعنى وليس لفظا.

٢. الصغار – القماءة

٣. فتواكلتم – تخاذلتم

٤. يميت القلب – يجلى الهم

٥. ندما – سدما

٦. ملأتم قلبي قيحا – شحنتم صدري غيظا

٧. العصيان – الخذلان – لا أمر لمن لا يطاع.

أفاد تكرار الضمير استمراية فرضت على النصّ وحدة الاتصال، فخلا الخطاب النصّي من الانقطاع والفجوات.

فقد أدى التكرار دورا مهما في ربط أجزاء النصّ فأصبح كأنه كتلة واحدة.

يعد التكرار عنصّراً فنياً كبيراً في هذه الخطبة لما له من دور واضح في إخضاب فخامة النصّ باحتوائه على قيم إيقاعية واضحة كما أنه قد ساهم في بناء الكلام هنا وتلاحمه.

فتكرار بعض المعاني التي تدل على تخاذل أصحاب الإمام تشير على حالة نفسية معينة لدى الإمام وأنه كيف يعاني من جراء تخاذل أصحابه بحيث يدعو عليهم ويتمنى أن لم يكن قد عرفهم.

التكرار في هذه الخطبة لا يقوم على مجرد تكرار اللفظ أو مترادفه في السياق بل إنه ترك أثر انفعالي جسيم في نفس المتلقي الذين هم أصحاب الإمام حتى أنه روي أن بعض أصحابه قد بكى كثيرا بعد سماعه هذا الكلام وأيضا يعكس نوعا ما؛ جانبا من الموقف النفسي للإمام عليه السلام تجاه المتخاذلين من أصحابه وأن الإمام قد بلغ به الهم والأسى مبلغاً كبيراً كل هذا يفهم من دلالة التكرار الوارد بشكل عفوي ومن دون تكلف في الخدبة ذي.

فمثلا عندما يقول الإمام عليه السلام "ملأتم قلبي قيحا" يشير إلى ما كان يقاسيه عليه السلام من تعب وتهمام بسبب خذلان أصحابه له وكأنه يوبخهم لسبب بسيط كما يفعل القائد مع جنده حينما يرى منهم ما لا يعجبه من أمور لكنه لما كرر هذا المعنى بقوله "شحنتم صدري قيحاً عكس للسامع عبر ذلك؛ الموقف النفسي الشديد الذي كان يعانيه اللإمام جراء موقف أصحابه المتخاذل وأن الإمام وصلت به الحال بحيث كأنه شخص قد تجرع سما قاتلا قطع أمعائه عليه السلام فامتلأ بطنه بذلك دماً وقيحاً.

وهذه الصور تعكس حالة نفسية عجيبة كان الإمام يعانيها ويتألم منها.

ثم لما أراد أن يبين أن القوم لا يأتمرون بأمر كرر معنى العصيان بقوله "الخذلان" وفي النهاية بقوله "لا أمر لمن لا يطاع".

فلم يكن إيراد المعاني المكررة عبثا بل كانت عفوية انسيابية تشكف النقاب عن أحواله عليه السلام كما أنه ساهم بشكل جلي في تماسك النصّ من بدايته حتى آخر سطر فيه مما انتهى بانسجام النصّ واتضح أنه ليس مجرد تكرار داخل النصّ بل علاقة متينة بين مفاهيم التكرار لغويا ووظائفها داخل النصّ.

٣.١.٣ الاتساق الصوتي

يعد ثالث مظهر من مظاهر الاتساق النصّي مثله مثل المظهرين السابقين له أدواته الخاصة به التي تحقق مبدأ الاتساق إلا أن اهتمام علماء لسانيات النصّ كان منصّبا على دراسة وسائل الترابط اللفظي من حيث الربط النحوي والربط المعجمي وكانت هناك إشارات ضئيلة إلى مجموعة الوسائل الشكلية التي تؤدي إلى ترابط النصّ مثل الوزن والقافية.

الاتساق الصوتي وسيلة لجعل النصّ مكتملا مترابطا في مستواه الشكلي ومن ثم تأثيره الأكبر على المتلقي إذ يرتبط تأثير تأثير الجرس الموسيقي لألفاظ الشعر على المتلقي بالطبيعة الصوتية لحروف اللغة العربية وطريقة تأليفها في إيقاع داخلي يناسب الحالة الشعورية للمبدع (العفيفي، ٢٠٠١: ٣٤)

١.٣.١.٣ السجع

هو الكلام المقفى وهو ضرب من ضروب الإيقاع المتوارث في النصّوص الأدبية.

نجد هذا الأسلوب حاضرا في هذه الخطبة يخلق أجواء وموسيقى تُحكِم تناسق الكلام وتنبعث من شعور المتكلم لتنفذ إلى قلب السامع.

ونجد هذا الأسلوب لقيمته الفنية ودوره في إحكام النصّ وتناسقه واجتذاب المخاطب ليقي السمع للمتكلم يكثير في كلام الإمام في هذه الخطبة كقوله:

عشرين	ستين
عصيان	خذلان
ما نال رجلا منهم كلم	ولا أريق لهم دم
فقبحا لكم	ترحا
تغزون	ترضون
حلوم الأطفال	ربات الحجال

وقد أضفى هذا السجع موسيقى وأيقاعا جميلا على النصّ وخلق نغمة ورنينا جعل النصّ يتماسك من حيث الموسيقى والشكل علاوة على الترابط النحوي والمعجمي القائم بين أجزاء الكلام فكأن القارئ عندما يسمعها يستمع إلى موسيقى تتولد من رحم أوتار العود أو من قلب الطنبور ثم تنشر إيقاعات تَمسك بالسامع ليواصل السمع ولا يغادر دون الاستزاده والانتفاع.

هذا الجنس يجعل الحروف وكأنها تتهامس مع بعضها البعض وتتجاوب وتتسامر في حديث شيق موزون وتارة شجي يعكس الهم والغم الساكن في أنفاس الإمام وبين جنبيه.

وهذه الإيقات تركت للنصّ إنسجاما وقوة وترابطاً.

وللجناس دور كبير وحظ وفير في تصوير المعنى وتأكيد النغم وهذا يتطلب مهارة وبراعة ودقة في اختيار الألفاظ فالنغم الشجي تارة يعكس حالة من حالات الإمام والصلابة تشير إلى حماس الإمام لغزو العدو.

٢.٣.١.٣ الجناس

هو تشابه لفظين مع اختلافهما في المعنى.

وقد ورد هذا النوع من الجناس بأغراض موسيقية في هذه الخطبة:

فإن الجهاد باب من أبواب **الجنة**	ودرع الله الحصينة و**جنته** الوثيقة
سيم الخسف	منع النصّف
الحر	القر
ندما	سدما

هذا الجناس أيضا عبر خلقه أجواء موسيقية من شأنها أن تساهم في استحكام النصّ وانسجامه نراه قد ورد في نصّ هذه الخطبة ليساعد اللفظ من غيرما تكلف وهذا هو سر جماله هنا لأنه إذا كان متكلفا يريد المتكلم أن يزج به زجا كان حاله بدلا من أن يساعد على تحسن المعنى والنغمة مضرا غير مجد عديم النفع والثمرة وبانت عنه الآذان واشمئزت منه النفوس وأدبرت عنه الأرواح.

وبما أن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه فنجد ما ورد من جناس في هذه الخطبة يجعل الروح تستنشقه وتميل إليه وكأنه زينة العروس لا يكتمل بهائها إلا به.

-تكرار بعض الحروف:

ترحا لكم حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون.

فحرف الغين لم يأت اعتباطا في هذه الفقرة ولو أنك استعملت فعلا آخر في هنا لفقدت بالتمام حلاوة الموسيقى وربما المعنى هب أنه جاء بفعل (لا تهجمون) بدلا م(لا تغيرون)؟

لصارت بمثابة العقد الذي انفرط سمطه فلا يصلح لجيد الحسان بعد أن ضاعت حباته وتبعثرت أخرازه.

وقد أسهم هذا التكرار في إكساب المقطع دلالات كشدة الحزن عند الإمام فقلب الإمام يتفطر ألما لفرقة أصحابه وجبنهم أمام عدوهم.

٢.٣ العلاقات الدلالية

هي مجموعة من العلاقات تظهر في المستوى العميق للنصّ وهي ذو طبيعة تجريبية تعمل على تحديد العلاقات والتصورات الموجودة في النصّ بين العلامات اللسانية وبين المفردات والجمل. ولهذه العلاقات دور كبير في بناء النصّ وتحقيق الوحدة النصّية .

والخطبة تخضع لنظام داخلي دقيق من العلاقات يبط بين محاورها ومستوياتها تتولد منه الدلالات وتتكامل بفضله.

١.٢.٣ علاقة الإجمال ثم التفصيل

يعدّ الاستهلال إجمالا يستدعي القارئ ويحتل مكانة بارزة في من حيث الأهمية ومن حيث علاقتها ببقية أجزاء النصّ وتحكمها في هذه الأجزاء لأنه في الغالب يركز المرسل كل جهوده في هذه الجملة وما يأتي بعدها تفسير وتفصيل لها وتعتبر جملة الاستهلال المحور الذي يدور في مجاله النصّ فقوله "إن الجهاد باب من أبواب الجنة ..." اختصر فيه الإمام كل ما جاء بعده من كلام من أهمية الجهاد وأثره في النصّر والغلبة وعاقبة المتخاذلين.

وأن بعد ذكر الجهاد صار بإمكان القارئ أن يتصور ما سيأي بعدها من سرد وجمل.

وكلمة "باب من أبواب لجنة" جملة تحفيزية لإثارة القارئ كما أنها ساعدت على التواصل بين المبدع والمتلقي لأنها تتغذى من رصيده الديني والمعرفي وتشير في ضمنها إلى نتائج الجهاد وتركه وغير ذلك ...

ونجد أن ما يأتي بعدها تفسير لمعناها وأن النصّ متماسك عبر العلاقة القائمة بين السبب والمسبب فمثلا نهاية النصّ عندما قال عليه السلام «حتى قالت قريش: ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم، وهل منهم أحد أشدّ لها مراسا أو أطول لها تجربة منى؟ لقد مارستها وما بلغت العشرين، فهأنذا قد نيفت على الستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع»

هو في الحقيقة بسط وبيان لما جاء في بداية الخطبة ذلك أن ترك الجهاد سبب في أن يتهم الإمام بعدم الاحتراف في ميادين الجهاد وأن يعير أصحابه وهذا المعنى قد ذكره في بداية الخطبة بقوله فمن ترك الجهاد ... وهذا النمط من الربط متواجد بكثر في نصّ مما خلق انسجاما في كل النصّ.

٢.٢.٣ العموم والخصوص

ويعرف العموم بأنه لفظ دال على جميع أجزاء ماهية مدلوله ومن هذا النطلق يمكن أن نعتبر العنوان عموما ونعتبر النصّ خصوصا له.

٣.٢.٣ تكرار الصيغ الفعلية

فتحه – تركه – ألبسه – ديث – ضرب – أديل – سيم – منع.

يلاحظ أن بداية القصيد تفتح بمجوعة من الأفعال الماضية لتأصل عدة أمور كتمهيد وتوطئة لما يأتي بعدها من أحكام ونتائج تترتب عليها.

في البداية يتكلم الإمام عن أمر الجهاد وأنه يشبهه بالباب الذي تم فتحه لفئة خاصة دون سائر الناس وأن من أراد الخلاص من برد الذل وحرارة الخزي فليس له أمامه طريق يسلكه سوى أن يرتدي ثياب الحرب وأن من تركه وقع في عدة هوات منها أنه يذل ويمنع عنه حقه وأنه تتوفر عليه البلايا والمخازي كل هذه أشار لها الإمام عبر صيغ فعليه تمهيدا لاستنهاضهم وقد أوردها أفعالا ماضية ليتم أعلانهم أن هذا أمر حتمي لا محيص عنه فإن تركتم الجهاد كان حالكم كما وصفت.

والماضي فيه دلالة على أنه هذه الحاكم المترتب عليه القادم حتمية كأنه أمر فرغ منه ولايمكن تغيره كما أن الماضي قد تم ولا يمكن استرجاعه فليس أمامكم منه إلا الاعتبار.

٤.٢.٣ القسم

من تتبع خطب الإمام يجده لا يستخدم القسم إلا نادرا أو لنكتة بلاغية يدعو المقام لها لكنه في هذه الخطبة أورده كثيرا للأسباب الآتية وللدلالات التي ستذكر:

قوله (**اغزوهم فوالله مما غزي قوم في عقر دارهم إلا وقد ذلوا**)

يريد الإمام من هذا القسم أنني محضتكم الناس وأخلصته لكم وقد طلبت منك أن تغزوهم لكن لم تفعلوا بمقتضى قولي فإن بقيتم على مثل هذا الحال استمر معكم حال الذل.

ثم يشير إلى أنكم أذلاء لا خلاص لكم منه إلا بالعودة إلى الجهاد فإن به وحده تنالوان حقكم وتدفعون عدوكم عنكم وحرائركم وقوله (إلا وقد ذلوا) بيانه وارد في قوله (أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها...).

فلم يأتي بالقسم عبثا بل كانت هناك دواعي جعلته يضططر للقسم و يتمنى الموت بقوله (فلو أن أمرأ مسلما مات من بعدها لكان جديرا عندي).

– استخدام حرف لو في قوله (فلو أن أمرأ مسلما مات من بعدها لكان جديرا عندي) فيه دلالات أنهم لم يفعلوا ولن يموتوا لأن الغالب في لو أنها عندما لا يتحقق جواب الشرط والدلالة الأخرى أنهم ليس على شيء من الإسلام كي يموتوا غما لسماعهم أمثال هذه الأخبار.

القسم في قوله (لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين):

فيه دلالة على أن أفعال أصحابه سببت له التهم بأنه يفتقد للخبرة فالإمام مضظر للقسم كي يثبت لهم أنني منذ الزمن البعيد أخوض المعارك حتى أصبحت شيخا فمن كان هذا حاله كيف يفتقر للخبرة؟

قوله (لوددت أني لم أعرفكم معرفة والله أعقبت ندما..):

أيضا يورد قسما ليدل على ما في نفسه من غيظ وهو بسبب أفعالهم.

٤. النتائج

إن توظيف أدوات الاتساق من إحالة وحذف وتكرار وغيره قد ساهم بشكل كبيرة على تماسك القصيدة وجعلها منسجمة متناغمة مع بعضها البعض.

إن نصّ خطبة الجهاد نصّ يتمتع بإطار منسجم ومتماسك وترتبط أجزائها بشكل متواصل ومتسلسل سواء في الأبنية الكلية أو الجزئية وكل ذلك يتم عبر أدوات الاتساق ودورها في ربط أجزاء النصّ في الخطبة.

استخدام الشاعر للضمائر والمزاوجة بين أنواع الضمير والإحالات الموجودة والحذف العفوي غير المتكلف والربط وأيضا الاتساق المعجمي من خلال التكرار كلها تدل على متانة النصّ الإبداعي في خطبة الجهاد وتعبير آخر إن النصّ في هذه الخطبة قد ارتبطت قوالبه بعضها البعض وشكلت كلاما متكاملا فكانت تدل على فكرة متصلة من عنوانة وبدايته حتى نهايته.

كشف البناء النصّي للخطاب الشعري في «خطبة الجهاد» عن تنوع في أدوات الاتساق ما بين إحالة واستبدال وتكرار وغيرها إلا أن حضور الإحالات الضميرية القبلية في هذا النصّ كان متواترا بكثرة.

الإحالات المقامية فقد أدت الانسجام المفهومي من خلال ربط الأحداث بالشخوص الفاعلة في النصّ.

كما اتضح من خلال تطبيق عناصر الاتساق في هذه الخطبة أن يمكن الاستغناء عن الترابط الشكلي والمفهومي ولا يكتمل الترابط بين اجزاء النصّ إلا بودهما معا.

تكرار بعض المعاني التي تدل على تخاذل أصحاب الإمام تدل على حالة نفسية معينة لدى الإمام وأنه كيف يعاني من جراء تخاذل أصحابه بحيث يدعو عليهم ويتمنى أن لم يكن قد عرفهم.

وقد لعب التضام في هذه الخطبة دورا بارزا في تحسين المعنى وتطريزه وجعله أكثر تأثيرا في نفس القارئ إذ إنه سلط الضوء على الفرق الشاسع بين الوجه الإيجابي والسلبي للمعنى.

المصادر والمراجع

أ) الكتب

القرآن الكريم

ابن منظور جلال الدين محمد بن مكرم (١٩٨٢م.)، **لسان العرب**، الطبعة ٣، بيروت: دار صادر.

الأخضر الصبحين، محمد (٢٠٠٨م.)، **مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقية**، الطبعة الأولى، الجزائر: دارالعربية للعلوم.

بوقرة، نعمان (٢٠٠٩م.): **المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب**، الطبعة الأولى، عمان: جدار الكتاب العالمي

الجاحظ، عمر بن بحر (١٩٧٥م.)، **البيان والبيين**، الطبعة ٤، المجلد ١، القاهرة: مكتبة الخانجي.

الحدراوي، إيناس (٢٠١٧م.)، **أثر القرائن العلائقية في اتساق النصّ في نهج‌البلاغة (خطب الحروب أنموذجا)**، الطبعة الأولى، كربلاء المقدسة: مؤسسة علوم نهج‌البلاغة.

نورية، لعرباوي (٢٠١١-٢٠١٢م.)، **أثر الترابط النصي في فهم الدلالة سورة الأعراف أنموذجا**، الطبعة الأولى، جامعة وهران أحمد بن بلة، كلية الآداب والفنون.

الحلوة، نوال بنت إبراهيم (٢٠١٢م.)، **أثر التكرار في التماسك النصّي في القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، الرياض: جامعة نورة بنت عبدالرحمان.

أبوخرمة، عمر (٢٠٠٤م.)، **نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى**، الطبعة الأولى، الأردن: عالم الكتب الحديث.

الخطابي، محمد (٢٠٠٦م.)، **لسايات النص: مدخل إلى نسيج النصّ**، الطبعة ٢١، دار البيضاء: المركز الثقافي.

خوالدة، فتحي رزق (٢٠٠٥م.)، **تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام**، الطبعة الأولى، الأردن: دار الأزمنة للنشر والتوزيع.

دي بوجراند، روبرت (١٩٩٨م.)، **النصّ والخطاب والإجراء**، الطبعة الأولى، القاهرة: عالم الكتب.

الزناد، الأزهر (١٩٩٣م.)، **نسيج النصّ**، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا؛ الطبعة الأولى، بيروت: المركز الثقافي العربي.

شبل محمد، عزة (٢٠٠٩)، **علم لغة النصّ النظرية والتطبيق**، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الآداب.

عبده، محمد (٢٠١٥م.)، **شرح نهج البلاغة**، الطبعة السابعة، بيروت: دار الكتاب العربي.

عفيفي، أحمد (٢٠٠١م.)، **نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي**، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

علي صلاح إبراهيم، عائشة (٢٠١٥م.)، **مفاهيم مشابهة لعلم اللغة النصّي عند العرب**، جامعة سبها العلوم الإنسانية.

فضل، صلاح (١٩٩٢م.)، **بلاغة الخطاب وعلم النصّ**، الطبعة الأولى، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة.

الفقهي، إبراهيم صبحي (٢٠٠٠م.)، **علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق**، الطبعة الأولى، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.

الهاشمي، أحمد (٢٠٠٥م.)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، الطبعة الثالثة، القاهرة: المكتبة العصرية.

ب) الرسائل الجامعية

بن ساسي، هاشمي (٢٠١٧م.)، **ظاهرة التضام في القرآن الكريم: دراسة لسانية حديثة وبلاغية (سورة يوسف أنموذجا)**، رسالة لنيل شهادة الماستر أكاديمي بإشراف الدكتور عيسى بوفسيو ، جامعة محمد بوضياف: المسيلة.

جاهمي، آمنة (٢٠١١م.)، **آليات الانسجام النصّي في خطب مختارة من مستدرك نهج‌البلاغة للهادي كاشف الغطاء**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات والتراث بإشراف الدكتور محمد كراكبي، جامعة باجي مختار، الجزائر.

نظري، علي‌رضا (١٣٨٩ش)، **كاركرد عوامل انسجام متنى در خطبه‌هاى نهج‌البلاغه (بر اساس الگوى نقش‌گراى هاليدى)**، أطروحة دكتوراه بإشراف الدكتور خليل برويني، جامعة تربيت مدرس، إيران.

ج) المقالات

آل‌بويه لنگرودي، عبدالعلي، ونظري، علي‌رضا (**١٣٩١**ش.): «هم‌آوايى واژگانى و نقش آن در انسجام خطبه‌هاى نهج‌البلاغة»، **فصلنامه ادبيات دينى**، شماره ٣، صص ٢٥-٤٦.

حسيني كوهساري، سيد إسحاق و عيسى متقي زاده، وسجاد إسماعيلي (٢٠١٤م.): «مقاربة أسلوبية دلالية في خطبة الجهاد»، **مجلة اللغة العربية وآدابها**، السنة ١٠، العدد ٢، صص**١٩١-٢١٤**.

شني، فليح خضير(٢٠١٦م.)،«التماسك النصّي في خطب الإمام علي(ع)»، **مجلة لارك**، العدد ٢٢، صص**٧٧-٩٢**.

عزيز خاني، مريم وسيد رضا سليمان زاده نجفي (٢٠٠٩م.)، « تحليل نظام اللغة المعنوي في سورة المزمل على أساس نظرية هاليدي»، **مجلة آفاق الحضارة الإسلامية**، المجلد ٢٢، العدد ١، صص **٢٢١-٢٤٥**.

محمد، محمد عبدالرحمن (٢٠١٥م.)، «لسانيات النصّ نشأتها وأسسها»، **مجلة جامعة الأزهر**، العدد ١٥، صص **٢٣٥٧-٢٤٨٤**.